الجمع بين النصوص

من تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

جمع

مساعد بن عبدالله السلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة :

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : ومن المهم لطالب العلم خاصة أن يعرف الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض ، ليتمرن على الجمع بين الأدلة ، ويتبين له عدم المعارضة ، لأن شريعة الله لا تتعارض ، فإنها من وحي الله عز وجل .. [1]

وقال رحمه الله : ليس في القرآن شيء متعارض لا يمكن الجمع بينه وبين الآخر؛ لأن التعارض يقتضي أن يكون أحد المتعارضين حقًّا والثاني باطلاً؛ لأنه ليس معنا إلا حق وضلال: {{فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ}} [يونس: ٣٢] ، ولا يمكن أن يكون شيء في كتاب الله باطلاً ضلالاً كما قال تعالى: {{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}} [النساء: ٨٢] نعم يمكن أن يتعارض النصان ولكن يكون أحدهما ناسخاً للآخر كقوله تعالى: {{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ}} [الأنفال: ٦٥] ثم قال: {{الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ *}} [الأنفال: ٦٦] والنسخ يكون به إبطال المنسوخ من عند الله، فلا يكون هناك تعارض، فإن وجد من القرآن ما ظاهره التعارض فلا بد أن يكون هناك انفكاك بين النصين ينتفي به التعارض، وأما أن يبقى متعارض فهذا شيء ممتنع، ومن أحسن ما أُلِّف في الجمع بين الآيات المتعارضة كتاب محمد الأمين

---

[1] انظر مجموع الفتاوى ١٣ / ١٢٣

الشنقيطي رحمه الله المسمى «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» وهو كتاب جيد ومفيد لطالب العلم. [2]

***

الجمع بين إنفراد الله بالألوهية ، كما في قوله تعالى: {الم *اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وبين إثبات الألوهية لغيره كما في قوله تعالى: { فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } .

والجمع بينهما : أن تلك الآلهة باطلة،ولكنها آلهة وُضِعَت عليها الأسماء بدون حق، كما قال الله تعالى: {{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا}} [يوسف: ٤٠] ، وقال تعالى: {{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى *وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى *تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى *إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى *}} والإله في قوله: { {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} } إله حق، {{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}} [الحج: ٦٢] . [3]

الجمع بين كون القرآن كله محكم كما في قوله تعالى {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ *} وقوله : {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ *} وبين كونه متشابها كما في قوله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ) .

الراسخون في العلم يعلمون أنه لا تعارض، فيقولون: المتشابه الذي وصف به القرآن غير مقرون بالمحكم، فيراد به التشابه في الكمال والجودة والهداية.

---

[2] انظر تفسير سورة آل عمران ٣٠/٢

[3] انظر ٦/١

فهو متشابه أي: كل آياته متشابهة، كلها كاملة البلاغة، كلها كاملة في الخبر، كاملة في الأمر والنهي، فهي متشابهة من حيث الكمال والجودة والإحكام والإخبار وغير ذلك.
وإذا ذكر محكم بغير ذكر المتشابه فالمعنى: أنه واضح متقن، ليس فيه تناقض ولا تعارض، ولا كذب في خبر، ولا جور في حكم، فيحمل الإحكام على معنىً، والتشابه على معنى آخر. [4]

الجمع بين قوله تعالى (إنك على كل شيء قدير) ، وبين قوله تعالى: { وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} .

المشيئة هنا ليست عائدة على القدرة، ولكنها عائدة على الجمع؛ يعني: إذا أراد جمعهم، وشاء جمعهم، فهو قدير عليه، لا يعجز عنه . [5]

الجمع بين قول الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله خلق آدم على صورته) وفي رواية : (على صورة الرحمن) .

فالجواب أن نقول : أ- لا يلزم من كون آدم على صورة الله يماثله ، فقد يكون الشيء على صورة الشيء من حيث العموم لا من حيث التفصيل . ويدل لهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر . وهل يلزم من ذلك أن يكون مثل القمر ؟ . أبداً لكن من حيث الإجمال على صورة القمر وإلا فليس للقمر أنف ، وليس له عين ، وليس له فم ، وأهل الجنة لهم أنوف وأعين وأفواه . وهذا وجه قوي

---

[4] انظر ٤٠/١
[5] انظر ١٥٩/١

جدًا ويبقى النص على ظاهره .

ب- والوجه الثاني أن نقول : إن الله خلق آدم على صورة الرحمن أي على الصورة التي اختارها الله عزّ وجل كما لو قلت : هذا الباب صنعه فلان يعني هو الذي صنعه . فالله هو الذي صور آدم ، وإضافة صورة آدم إلى الله تقتضي التشريف ، ولذلك جاءت هذه الجملة في بعض الأحاديث تعليلاً للنهي عن ضرب الوجه وتقبيح الوجه لأن آدم خلق على صورة الرحمن . فإذا ضربت الوجه الذي خلقه الله عزّ وجل واختار هذه الصورة له ؛ فإن ذلك الضرب قد يخدشه ويغيره ، وإذا قبحت الوجه فقلت : ما أقبح هذه الوجه ، فإن هذا أيضاً قدح في الصورة التي خلقها الله عزّ وجل واختارها لهذا الوجه . وعلى هذا فيكون إضافة الصورة إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كقوله : ناقة الله ، وبيت الله ، ومساجد الله وما شابه ذلك .. فحينئذٍ تبقى النصوص – ولله الحمد – سليمة لا تتناقص ولا تتعارض . فاليد ثابتة لله على الوجه اللائق به من غير مماثلة ، نجزم ونعلم علم اليقين أنه لا مماثلة بين صفات الخالق وصفات المخلوق . [6]

الجمع بين قول النبي صلّى الله عليه وسلّم «ولد لي الليلة ولد وسميته إبراهيم» وبين حديث العقيقة قال: «تذبح يوم سابعه، ويحلق ويسمى» .

يكون الجمع أن من كان مهيأ الاسم قبل الولادة فالأفضل أن يسميه حال الولادة، ومن لم يهيأ فالأفضل أن يؤجله إلى اليوم السابع. [7]

الجمع بين إنفراد الله بالخلق كما في (ألا له الخلق والأمر) وبين إثبات الخلق لغيره كما في (أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ} وقوله تعالى:{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}، وقول الله تعالى في الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق

انظر ٢٠٤/١ و ٤١٥

انظر ٢٢٩/١

كخلقي» وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» وقوله عليه الصلاة والسلام: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» .

الخلق المضاف إلى غير الله عزّ وجل ناقص ليس إيجاداً حقيقة ولكنه تغيير لصورة، فمثلاً الإنسان يخلق من الخشب باباً، هل هو خَلَق الخشب؟ ومن الحديد سيارة، هل خَلَق الحديد؟ كلا، ولكن حوَّله من حال إلى حال فصار هذا خلقه، لكنه ليس هو الذي أوجد الحديد أو الخشب حتى يقال: إن خلقه كخلق الله. أيضاً: خلق الإنسان أو البشر عموماً ليس عاماً شاملاً؛ لأن كل إنسان يخلق ما صنع فقط، وما لم يصنعه فليس من خلقه. [8]

الجمع بين كون عيسى عليه السلام حياً ، وبين قول الله تعالى : (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ...) الآية .

نقول : الصحيح أن الوفاة وفاة نوم ، لأن الله عز وجل لما أراد أن يرفعه إلى السماء أنامه ليسهل عليه الانتقال من الأرض إلى السماء ؛ لأن الانتقال من الأرض إلى السماء ليس بالأمر الهين لطول المسافة وبعدها ورؤية الأهوال فيما بين السماء والأرض وفي السموات أيضاً ، فأنامه الله ثم رفعه نائماً حتى وصل إلى السماء. [9]

الجمع بين كون الله قبل وجهه المصلي كما في قول النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَلَ وجهه؛ فإن الله قِبَلَ وجهه إذا صلى» وبين كون الله في السماء كما في قوله تعالى (أأمنتم من في السماء)

---

[8] انظر ١/٢٨٧ و٢٩
[9] انظر ١/٣٢١

.

لا تظن أن الله في الأرض قبل وجهك وأنت تصلي، فإنه قبل وجهك وهو في السماء؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته. وإذا كان المخلوق وهو مخلوق يمكن أن يكون في السماء وقبل وجهك فما بالك بالخالق، لو استقبلت الشمس حين شروقها لكانت قبل وجهك وهي في السماء، وكذلك عند الغروب تكون قبل وجهك وهي في السماء. فالحاصل أن الله تعالى واسع بجميع صفاته وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. [01]

الجمع بين كون الله لا يطلق عليه عارف ، بل يطلق عليه عالم ، وبين حديث : (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) الحديث .

نقول : هذه معرفة خاصة تستلزم العناية بالذي تعرف إلى الله من قبل ، والدليل على أنها ليست معرفة العلم بل هي معرفة العناية قوله : (تعرف إلى الله) مع أن الله يعرفك سواء فمت بعبادته أم لم تقم . لكن إذا فمت بعبادته فقه تعرفت إليه ، فإذا تعرفت إليه في الرخاء عرفك في الشدة . [11]

الجمع بين قول الله تعالى : (أن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة .....) الآية ، وحديث (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب اليم : شيخ زان ....) الحديث ، وبين تكليم الله لأهل النار قال تعالى : (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) .

انظر ٤١٩/١

انظر ٤٢٠/١

الجمع أن نقول : المنفي هو تكلم الرضا ن ولكن قد يكلمهم تكليم اهانه وتقريع توبيخ كما في قوله تعالى : (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) . [21]

الجمع بين عموم نظر الله عز وجل ، وبين قول الله تعالى : (ولا ينظر إليهم يوم القيامة ...) الآية وحديث (ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ...) الحديث .

الجمع أن نقول : لا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف ورأفة : وذلك لأنهم ليسوا أهلا للرحمة . قال الله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقونه ويؤتون الزكاة والذين هم بأياتنا يؤمنون) وأما غيرهم فليس لهم من رحمة الله نصيب في الآخرة. [31]

الجمع بين قوله تعالى (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} وبين قوله:{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} .

لله تعالى عينين اثنتين لا تماثلان أعين الخلق؛ ودليل ذلك قوله تعالى: {{ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}} ، وقوله: {{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}} ، وقوله: {{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}} ، إلا أن إثبات العينين ليس من هذه الآيات ولكن من أدلة أخرى كقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إن ربكم ليس بأعور» [(١٨٧)]. الجمع في الآيات من أجل التعظيم كقوله تعالى: {{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا}} ، مع أن الله ليس له إلا يدان اثنتان . [41]

انظر ٤٤١/١
انظر ٤٤١/١

الجمع بين قول النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» وبين ثناء النبي صلّى الله عليه وسلّم على أبي بكر رضي الله عنه لما جاء بجميع ماله، صدقة لله قال له: « ماذا تركت لأهلك؟»، قال: تركت لهم الله ورسوله .

الصحيح في هذه المسألة أن ذلك يختلف، فمن علم من نفسه أنه إذا تصدق بماله لم يخنع لأحد، ولم يذل لأحد، وكان عنده من قوة التوكل على الله والعمل ما يغنيه عن السؤال فهنا يمدح على الصدقة بجميع ماله. وكذلك لو فرض أن الحال تحتاج إلى الصدقة بجميع المال، لكون الناس في ضرورة إلى ذلك، كانت الصدقة بجميع المال أفضل. وأما إذا كان الإنسان يخشى على نفسه أن يتصدق بماله، ويتكفف الناس، فلا يتصدق؛ لأنه لا يمكن أن يفعل شيئاً مستحباً، ويدع شيئاً واجباً؛ لأن إعفاف نفسه وأهله واجب، فكونه يتصدق ثم يسأل الناس، لا شك أن هذا إذلال لنفسه. فالصحيح أن المسألة تختلف باختلاف الأحوال واختلاف الأشخاص. [51]

الجمع بين وجوب تأمين من دخل المسجد الحرام؛ لقوله: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} . ومن تحريم النبي عليه الصلاة والسلام أن يسفك في مكة دم ، وبين قتال النبي صلّى الله عليه وسلّم لأهل مكة؟.

فالجواب : أن قتال الرسول صلّى الله عليه وسلّم لأهل مكة من أجل توطيد أمنها؛ لأن أهل مكة صاروا يتحكمون في البيت، ولهذا منعوا الرسول عليه الصلاة والسلام من أداء العمرة في غزوة الحديبية، فكان في هذا الإحلال الذي أحله الله لرسوله صلّى الله عليه وسلّم في ذلك النهار مصلحة لتوطيد الأمن في البيت، وحمايته من الظلمة، كما قال تعالى: {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ

انظر ٤٤٦/١
انظر ٥٢٨/١

أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} ، وأيضاً فإن هذا الإحلال ليس إحلالاً مطلقاً، بل هو إحلال مقيد، كان ساعة من نهار، كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إنما أحلت لي ساعة من نهار وإنها لن تحل لأحد بعدي» ، فقد كان القتال فيها محرماً ثم أحل، ثم عاد تحريمه إلى يوم القيامة. [61]

الجمع بين قول الله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وبين قوله : (ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) .

قال أهل العلم في الجمع بين هذا وأمثاله : إن يوم القيامة ليس زمناً متحداً قصيراً تتعارض فيه الأحوال ، لكنه زمن طويل مقداره خمسون ألف سنة ، فيمكن أن تكون الوجوه في وقت من هذا اليوم مسودة ، وفي وقت آخر مزرقة ، هذا جمع .

الجمع الثاني : أن المراد بالسواد الزرقة ؛ لأن الزرقة كلما اشتدت مالت إلى السواد ، وحينئذٍ يكون زرقاً واسودت بمعنى واحد .

الجمع الثالث : أن الناس يختلفون في الجرم والكفر ، فتسود وجوههم أو تزرق بحسب كفرهم وجرمهم ، فمنهم من يكون جرمه شديداً عظيماً فتسود وجوههم ، ومنهم من يكون أخف فتكون زرقاء.

الجمع الرابع : قالوا : إنهم سود البشرة زرق العيون ، وهذا أعظم في القبح ، إذا كان الوجه أسود والعين زرقاء ، صار هذا أقبح منظراً . على كل حال هذه أوجه جمع العلماء بها بين هذا الظاهر الذي يظهر أنه متعارض ، وهنا نقف لنقول : ليس في القرآن شيء متعارض لا يمكن الجمع بينه وبين الآخر ؛ لأن التعارض يقتضي أن يكون أحد المتعارضين حقّا والثاني باطلاً ؛ لأنه ليس معنا إلا حق وضلال : (فماذا بعد الحق إلا الضلل) (يونس :٣٢) ، ولا يمكن أن شيء في كتاب الله باطلاً ضلالاً كما قال تعالى : (ولو كان من

انظر ٥٥٨/١

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (النساء : ٨٢) نعم يمكن أن يتعارض النصان ولكن يكون أحدهما ناسخاً للآخر كقوله تعالى : (إن يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (الأنفال :٦٦) والنسخ يكون به إبطال المنسوخ من عند الله ، فلا يكون هناك تعارض ، فإن وجد من القرآن ينتفي به التعارض ، وأما أن يبقى متعارض فهذا شيء ممتنع ، ومن أحسن ما أُلّف في الجميع بين الآيات المتعارضة كتاب محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله المسمى ((دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)) وهو كتاب جيد ومفيد لطالب العلم . [71]

الجمع بين كون أهل الجنة مخلدين فيها كما في قوله تعالى : (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وبين قوله تعالى : (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ...) الآية . فا ستثنى فقال : إلا ما شاء ربك ؟

نقول : لا تعارضُ الآيات الدالة على الأبدية هذه الآية ؛ لأنه من المشكل الذي يجب رده إلى المحكم ، والعلماء لهم في هذه الآية أقوال ، ولكن القول الذي يريح الإنسان أن يجعل هذا القيد والقيد الذي في أهل النار (خالدين فيها إلا ما شاء ربك) من الأمور المتشابهة ، ويحمل على النصوص المحكمة فنقول : إن الله قال (إلا ما شاء ربك) مع أنه قد شاء أن يبقى هذا أبد الآبدين وهو كقول الرسول صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور : ((إنا إن شاء الله بكم لاحقون)) فعلَّقه بالمشيئة مع أن اللحوق بهم لا بد منه ، وهذا القول يستريح به الإنسان ، ولا يعترض عليه معترض كما اعترض ابن القيم رحمه الله بأن الله قال في أهل النار : (خلدين فيها ما دامت السموات

---

[71] انظر ٢/٣٠

والأرض إلا ما شاء إن ربك فعال لما يريد) . قال : فاختلاف ختم الآيتين بدل على أن أهل النار ليس خلودهم أبدياً بخلاف أهل الجنة ؛ لأنه قال في أهل الجنة (عطآء غير مجذوذ) (هود : ١٠٨) وقال في أهل النار : (إن ربك فعال لما يريد) (هود : ١٠٧) وهذا في الحقيقة يدلك أن الإنسان مهما بلغ في العلم والذكاء فلن يسلم من الغلط ، والفرق بين الآيتين ظاهر ؛ لأن آية (السعادة) فضل فقال : (عطآء غير مجذوذٍ) (هود : ١٠٨) وآية النار (الشقاء) عدل فقال : (إن ربك فعال لما بريد) (هود : ١٠٧) وهذا من فعله الذي أراد وليس المعنى أنه (فعال لما يريد) سيفعل في المستقبل خلاف ذلك كما فهمه ابن القيم رحمه الله ، فإن هذا فَهْم غير سليم بلا شك ، بل إن مناسبة ختم الآية بقوله : (إن ربك فعال لما يريد) هو أنه لما كان الشقاء غير محمود قال : هذا من فعل الله ، والله يفعل ما يريد مع أنه لم يظلمهم . [81]

الجمع بين قول الله تعالى : (وما الله يريد ظلماً للعالمين) وبين قوله : (وما ربك بظلام للعبيد) .

نقول : لا منافاة لأنه إذا انتفت إرادة الظلم لزم نفي الظلم ، وإذا انتفى الظلم لزم انتفاء إرادته ؛ لأن الله تعالى قادر لو اراد أن يظلم لظلم . [91]

الجمع بين كون هذه الأمة خير الأمم؛ كما في قوله تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} وبين ما جاء في بني إسرائيل أن الله فضّلهم على العالمين،كما في قوله تعالى (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) ومعلوم أن المفضل خير من المفضل

انظر ٤١/٢
انظر ٤٥/٢

عليه؟

نقول: لدينا آيتان أو لدينا نصَّان متعارضان كلاهما على سبيل العموم كهذه الآية {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (للناس) هذه عامة تشمل بني إسرائيل وغيرهم، وقوله في بني إسرائيل: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ *} تقتضي التفضيل العام على هذه الأمة وعلى غيرها، فبين النصين الآن عموم متعارض، فإن ادعيت تخصيص عموم آية بني إسرائيل بخصوص هذه الآية قال لك الإسرائيلي: وأنا أدعي تخصيص عموم هذه الآية بخصوص بني إسرائيل، فأقول: أنتم خير أمة أخرجت للناس ما عدا بني إسرائيل، فيقال: إن النبي صلّى الله عليه وسلّم بيَّن لنا أي العمومين مراداً بقوله: «توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله» فبيَّن الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن هذه الأمة خير الأمم التي أوفتها وختمت بها، وهذا من الرسول صلّى الله عليه وسلّم نص فيكون عموم قوله: { {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} } مقدماً على عموم قوله: {{يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ *}} [البقرة: ٤٧] وحينئذٍ يكون قوله تعالى: {{وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}} مخصوصاً بقوله في هذه الأمة: { {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} }، بنصِّ كلام الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالعالمين العام خصوص عالمي زمانهم، يعني العالمين في هذا الزمن أي في زمن بني إسرائيل، فيكون من باب العام الذي يراد به الخاص، فلم يرد به العموم من الأصل، والعام الذي يراد به الخاص كثير في القرآن والسنة، ومن ذلك قوله تعالى: {{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}} [آل عمران: ١٧٣] فإن (الناس) في قوله: {{قَالَ لَهُمُ النَّاسُ}} لا يراد به عموم الناس بل القائل واحد، وقوله: {{إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}} أيضاً لا يراد به جميع الناس؛ لأنه لم يجمع

لهم إلا قريش، عامة البشر لم يجمعوا للرسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، فيكون قوله: {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} عاماً أريد به الخاص، وعلى هذا فلا يكون في الآية عموم إطلاقاً، وحينئذٍ لا تعارض هذه الآية. [02]

الجمع بين قول الله تعالى : (ويسارعون في الخيرات) وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم :(إذا سمعتم الإقامة فا مشوا إلى الصلاة ....) الحديث .

نقول : إن المسارعة في الخيرات هي المسارعة في موافقة الشرع . [12]

الجمع بين قوله تعالى {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ *بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ *}وبين قوله (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) .

هذا الإمداد اختلف أهل العلم هل كان هذا في بدر أو في أُحد؟ فإن كان في بدر ففيه إشكال حيث إن الله تعالى ذكر أن الله أمدهم في بدر بألف من الملائكة فقال: {{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ *}} [الأنفال: ٩] وهنا قال: ثلاثة آلاف وخمسة آلاف لكن جمعوا بينهما بأنه لا مانع أن الله استجاب لهم فأمدهم بألف من الملائكة ثم زيد فيها إلى ثلاثة آلاف، ثم زيد فيها إلى خمسة آلاف إذا تمّت الشروط، وبناء على هذا القول يكون قوله: { {إِذْ تَقُولُ} } متعلق (بنصر).

---

[02] انظر ٢/٥١
[12] انظر ٢/٨٣

والقول الثاني : أن هذه الآية في أُحد وليست في بدر؛ لأن الذي في بدر كان الأمر فيها غير مشروط: {{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ *}} وفي هذه مشروط ولم يحصل الشرط فلم يحصل المشروط، أي أن المسلمين في غزوة أُحد لم يحصل منهم الشرط الذي شرطه الله وهو التقوى والصبر، وذلك لأنهم حصل منهم تنازع وفشل ومعصية، فلم يكونوا على الحال التي يستحقون بها ما شرط الله لهم، وهذا القول أصح وأقرب أن يكون المراد بذلك غزوة أُحد، وأنه لم يحصل الإمداد؛ لأن الإمداد كان مشروطاً بشرط ولم يتحقق، وعلى هذا فلا يبقى إشكال بين الآيتين؛ لأن كل آية نزلت في غزوة، ثم إنه يجب أن نعلم أن الذي وعدهم به الرسول صلّى الله عليه وسلّم غير الذي وعدهم الله به، فليس الكلام من متكلم واحد بل من النبي صلّى الله عليه وسلّم ومن الله تعالى، فالرسول قال: { {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ} } والله قال: { {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ *} .[22]

الجمع بين النصوص التي تدل على أن العمل الصالح ينحي من النار ويدخل الجنة كما في قول الله تعالى (من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينة حياة طيبة .....) وبين النصوص التي تدل على أن الإنسان لن ينحو من النار بعمله كما في الحديث (واعملوا أنه لن ينحو أحد منكم بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله .....) الحديث .

والجواب عن هذا أن نقول: إن قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» أي على سبيل المكافأة أي أن الجزاء يكافئ العمل ويكون

---

[22] انظر ١٣٣/٢

عوضاً عنه، وأما على أنه سبب من الأسباب ولكن الله بفضله جعله بمنزلة العوض فهذا ثابت، فأعمالنا سبب ولو قوبلت بنعم الله لم تكن شيئاً. لو أنك جمعت نعم الله عليك وقارنت بينها وبين عملك لكان العمل ضئيلاً جداً ولا يساوي شيئاً. لو أصيب الإنسان بضيق في نَفَسه لكان يبذل لك ما يملك من أجل زوال هذه المحنة، كذلك البول، الغائط، السمع، البصر إلى غير ذلك، نعمٌ كثيرة لا يقابلها العمل، وقد قال بعض الشعراء:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة***عليَّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله***وإن طالت الأيام واتصل العمر

فإذا وفقت للشكر وشكرت الله فهي نعمة؛ لأن الله قال: {{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}} وما أكثر الذين كفروا نعمة الله، ثم إذا شكرت الله قلنا إنها نعمة تحتاج أيضاً إلى شكر آخر، فإذا وفقت لشكر الشكر فهو نعمة ثالثة تحتاج إلى شكر وهلم جرا، ولهذا قال:

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العُمْرُ [32]

الجمع بين كون الله عزّ وجل قد علم الذين آمنوا من قبل، وبين قوله: { } {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} .

فالجواب أن نقول: ليعلم علم وجود أي بأن الشيء وجد، وتعلق العلم بالموجود غير تعلقه بالمعدوم الذي سيوجد. الثاني: أن يعلمه علماً يترتب عليه الجزاء؛ لأن علمه السابق بأنه سيوجد لا يترتب عليه الجزاء. [42]

الجمع بين كون الشهداء أحياء عند ربهم كما في قوله تعالى :{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *} وقوله: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ *}.وبين

انظر ١٩٦/٢

انظر ٢٢٢/٢

كون الرسول صلّى الله عليه وسلّم ميتاً مع أنه أفضل من الشهداء؟

والجواب عن ذلك أن نقول : إن الحياة حياتان: حياة دنيوية جسدية وهي حياة الدنيا، وحياة برزخية ليست كحياة الدنيا، فهذه هي التي تثبت للشهداء. والأنبياء أفضل من الشهداء حيث حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم، وأما الشهداء فقد تأكل الأرض أجسادهم، فالأنبياء أجسادهم باقية وحياتهم البرزخية أكمل من حياة الشهداء بلا شك. [52]

الجمع بين انتفاء الضرر عن الله، كما في قوله تعالى (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا)وقوله (إنهم لن يضروا الله شيئا) وبين إثبات الأذية لله كما في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} وكما ثبت في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر»

فالجواب: أنه لا يلزم من الأذية الضرر. فالله تعالى قد يتأذى ولكن لا يتضرر، وأضرب لك مثلاً: لو أن شخصاً جلس إلى جنبك وقد أكل بصلاً أو شرب دخاناً ألست تتأذى برائحته؟ بلى، ولكن هل تتضرر؟ لا تتضرر، إذا رأيت شيئاً مكروهاً فإنك تتأذى ولكن لا تتضرر، إذن لا يلزم من كون الله تعالى يتأذى أن يتضرر. [62]

الجمع بين كون عمر الإنسان لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر عن الأجل الذي قدره الله له؛ كما في قوله تعالى : {كِتَابًا مُؤَجَّلاً} ، وقوله {فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}. وقوله {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا}.وبين ما

---

[52] انظر ٢/٢٤٢

[62] انظر ٢/٢٤٤ و٤٦٢

ثبت من قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «من أراد أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه» ، فإن هذا يفيد بأن الإنسان إذا وصل رحمه زيد في عمره.

فالجواب عن ذلك أن يقال : مد الأجل كبسط الرزق، والحديث يقول: «أن ينسأ له في أثره، وأن يبسط له في رزقه» . والرزق مكتوب، فقد بيَّن الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن الرزق يبسط ويوسع إذا وصل الإنسان رحمه، فكذلك الأجل يمدد إذا وصل الإنسان رحمه، ولا فرق، وهذا كقولنا: من أراد أن يولد له فليتزوج، والحديث: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في إثره) لا يعدو أن يكون بياناً لسبب طول العمر، وليس معناه أن الإنسان له عمران، عمر عند قطيعة الرحم وعمر عند صلة الرحم؛ لأن المعلوم عند الله والمكتوب عنده عمر واحد مقرون بسبب، وهو صلة الرحم، فإذا وصل الإنسان رحمه علمنا أن له عمراً واحداً زائداً مقروناً بالسبب. يوضح ذلك أنك تقول: إذا أكل الجائع سلم من الموت، فهذا الإنسان على آخر رمق في الحياة، أتينا له بطعام فأكل وعاش، هل نقول: إنه كان له عمران مع أننا لو تأخرنا عن إسعافه بالطعام لمدة دقيقة واحدة لمات، فهذا لا نقول له عمران، نقول: له عمر واحد، لكن هذا الطعام سبب لاندفاع الموت عنه الذي حصل من الجوع، فالمسألة ليس فيها إشكال، إذا تأملها الإنسان وجد أن سبب زيادة العمر الذي هو صلة الرحم كغيره من الأسباب التي يحث الشارع عليها. أيضاً نقول: من أراد الجنة فليعمل عملاً صالحاً وهو مؤمن بالله، هل نقول: إن الإنسان له حالان: حال يكفر وحال يؤمن؟ أو نقول: هذا قد قدّره الله بقضائه السابق أن يكون مؤمناً من أهل الجنة؟ فالجواب: الثاني.

هكذا الذي وصل رحمه نقول: هذا من الأول لم يكن له إلا عمر واحد مبني على سبب وهو صلة الرحم، إذن فالمراد بيِّنٌ، الحديث حثَّ الناس على صلة

الرحم التي هي سبب لطول العمر.

وهناك قول آخر وهو أنه ظن بعضهم أنه ليس المراد امتداد الأجل فقال: إن المراد بذلك بركة العمر، يعني يبارك له في عمره أو ينسأ له في أجله أي: أن ذكره بعد موته يطول، والإنسان إذا ذكر بعد موته فكأنه حي، قال الله تعالى: {{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ }} ويقول المتنبي: والذكر للإنسان عمر ثانٍ

فهذه ثلاثة آراء: إما أن يكون المراد بذلك ذكره بعد وفاته بالخير، وإما المراد بذلك البركة في عمره، والصحيح أنها الزيادة الفعلية في عمره، وأن المكتوب عند الله المعلوم عنده هو أن هذا الرجل سوف يصل رحمه ويمتد عمره.[72]

الجمع بين كون الله تعالى لا يجمع بين عقوبتين على معصية في الدنيا و الآخرة، كما في قوله تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) وكما جاء في الحديث: «إن الحدود كفارة» وقول النبي صلّى الله عليه وسلّم للمتلاعنين: «عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة» وبين كون الله قد جمع العقوبتين لمن حارب الله ورسوله أو لمن سعى في الأرض الفساد كما في قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا) ثم ذكر في النهاية (ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

فالجواب : صحيح أن هذا الخزي ينالهم في الدنيا، ولكن لعل هذا لعظم أفعالهم صار لهم الحد في الدنيا، والعذاب في الآخرة، وإلا فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما: «أن من أصاب شيئاً من هذه الذنوب والمعاصي فأقيم عليه في الدنيا، فإنه كفارة له» . ولقوله: {{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا

---

[72] انظر ٢/٢٥٠

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ *}} [الشورى: ٣٠] وأن الله لا يجمع للإنسان عقوبتين على المعصية. وقد يقال: لشدة جرمهم وذنبهم يجمع لهم بين هذا وهذا.[82]

الجمع بين كون الله ناصر لأولياءه ، كما قال تعالى {وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} وبين ما أخبر الله به في كتابه أن من الناس من قتل الأنبياء بغير حق؟

فالجواب عن هذا من أحد وجهين:

الوجه الأول: أن المراد بالنصر أو الوعد بالنصر لمن أمر بالجهاد، فإن الله ينصره؛ لأن الله لا يكلفه بشيء إلا والعاقبة له فيه، وأما الذين قتلوا من الأنبياء فلم يؤمروا بالجهاد.

الوجه الثاني: أن نقول: إن النصر نوعان:

أ ـ نصر شخصٍ معين بمعنى أن الإنسان يدركه بشخصه.

ب ـ نصر معنوي بمعنى أن الله ينصر من جاء بهذا ولو بعد موته.

ولهذا نجد أقوال الأئمة ـ أئمة المسلمين ـ كأنهم أحياء بيننا، أقوالهم حية فكأنهم أحياء، إذا أخذت كتاباً لعالم من العلماء وقرأته وانتفعت به فكأنما درّسك هذا العالم، إذن هذا نصر، نصر لمبدئه وهدفه ودعوته.

وجه ثالث أيضاً: أن نوزع النصر على الزمن، فنقول: إن النصر قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة، والذين قتلوا من الأنبياء سوف يكون نصرهم في الآخرة عندما يختصمون مع أقوامهم، فإنَّ أهل الحق وأهل الباطل يوم القيامة يختصمون عند الله؛ يختصمون فيقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون.

فلا تظنوا أن الخلاف الذي يقع بين أهل الحق وأهل الباطل ينتهي بالدنيا، كلا، سوف يحكم الله بينهم يوم القيامة وينصر أهل الحق {{لَنْ تَنْفَعَكُمْ

---

[82] انظر ٢/٢٧٣

أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ}} ، {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}، والآيات متعددة تدل على هذا {{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ *ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ *}} ، إذن إذا حكم الله لأهل الحق على أهل الباطل يوم القيامة فهذا نصر. فصار الجواب على هذه الآية من ثلاثة أوجه:

ـ إما أن نقول: إن الذين وُعدوا بالنصر هم الذين أُمروا بالجهاد.

ـ أو نقول: إن النصر نوعان: نصر لشخص منصور يدركه في حياته، ونصر لدعوته وما جاء به، وهذا يكون ولو بعد مماته.

ـ أو نقول: إن المراد بالنصر هو النصر يوم القيامة عندما يختصمون عند الله عزّ وجل، قال تعالى: {{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ *}}.[92]

الجمع بين قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ} .وبين قصة الرجل الذي أخبر عنه النبي صلّى الله عليه وسلّم بأنه يكون آخر أهل الجنة دخولاً، وأن الله يقول له: إني على ما أشاء قادر ؟

فالجواب عن ذلك : أن هذا حديث عن مسألة وقعت، فإذا وقع شيء من الأشياء وكان الإنسان يستغرب وقوع هذا الشيء فقال: كيف يقع هذا الشيء؟ فنقول له: «إن الله على ما يشاء قادر» يعني أن الله لمَّا شاءه وقع.

أما إذا أردنا أن نصف الله بالوصف المطلق غير المقيد بفعل فإن الأولى أن نقول: «إن الله على كل شيء قدير».[03]

الجمع بين قوله تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ *} وبين قوله {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى

انظر ٢/٢٩١

انظر ٢/٤١٧

هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ} .

الجمع بينهما: أنّ إضافتها إلى الأنفس من باب إضافة الشيء إلى سببه؛ يعني أنتم السبب، وأما إضافتها إلى إذن الله فهي من باب إضافة الشيء إلى فاعله؛ فالذي قضى هذا هو الله، لكن السبب أنتم، وإذا انفكت الجهة زال التعارض، فالجهة في الآية الأولى سبب، والثانية: فعل وتقدير. [13]

الجمع بين قوله تعالى {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} وبين الحديث الذي في المسند أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه» .

بعض العلماء يرى أن المراد بالمؤمن هنا المؤمن المجاهد الذي قُتل في سبيل الله، ويرى آخرون أنه عام، وهو الصحيح، وأن الفرق هو أن نسمة المؤمن في الجنة طائر يعلق فيها، يعني يأكل منها، أما أرواح الشهداء في حواصل أجواف طير خضر تأوي إلى قناديل معلَّقة، فهي كما أنها تمزّق بدنها في الدنيا أبدلها الله بأبدان أخرى، وهي هذه الطيور الخضر، فتمتاز أرواح الشهداء عن بقية المؤمنين بهذا، وهذا هو الأقرب، أن أرواح المؤمنين في الجنة، ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: قد تُحبس بعض الأرواح بسبب، مثل الدَين قد يمنع صاحبه من دخول النسمة الجنة، وقد سُئل النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الشهادة هل تُكفِّر الذنوب؟ قال: «تكفّر كل شيء» . ثم جاءه جبريل فقال: إلا الدَّين، فقال: «إلا الدَّين» . وهذا يدل على أنه قد يُحبس ثواب المجاهد عنه إذا كان عليه دَين، فقد يكون هناك عوائق لكن الأصل أن أرواح المؤمنين في الجنة. [23]

انظر ٤٢٣/٢

انظر ٤٤١/٢

الجمع بين كون الحسب هو الله وحده ولا أحد معه ؛ كما في قوله تعالى : { حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} وبين قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *}

أن (مَنْ) في قوله: {{وَمَنِ اتَّبَعَكَ}} معطوفة على الكاف في قوله «حسبك» وليست معطوفة على لفظ الجلالة {{حَسْبُكَ اللَّهُ}}، لأنها لو عطفت على لفظ الجلالة لكان المعنى أن الله حسبك ومن اتبعك من المؤمنين حسبك، وليس الأمر كذلك وإنما حسبه وحسب من اتبعه هو الله عزّ وجل. [33]

الجمع بين قوله تعالى: { {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} }،وبين قول النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «لو أن الله عذَّب أهل سمواته وأرضه، لعذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم» .

فالجواب : أن نقول: لا معارضة بين هذا الحديث وبين الآية؛ لأن الله لو عذَّبهم لم يمكن أن يُعذِّبهم وهو ظالمٌ لهم، إذن لا يُعذِّبهم إلا وهم مُستحقُّون للعذاب، وعلى هذا فيكون الحديث مُطابقاً للآية. أو يُقال من وجهٍ آخر: «لو أن الله عذَّب أهل سمواته وأرضه، لعذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم» أي: إذا أراد أن يُناقش العباد فإن من نوقش الحساب عُذِّب؛ لأنه لو ناقشهم لكانتْ نعمةٌ واحدةٌ من نعمه تُقابل جميع أعمالهم، فحينئذٍ يستحقُّون أن يُعذَّبوا.

فلنا في هذا الحديث مخرجان:

الأول: أنه يُعذِّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، أي لا يُعذِّبهم إلا لذنب، فيكون الحديث مطابقاً للآية.

والثاني: أن المراد بذلك مناقشة الحساب؛ لأن الله لو ناقشهم لكانتْ نعمة

---

[33] انظر ٢/٤٥٠

واحدة من نعمه سبحانه وتعالى تُحيط بجميع أعمالهم، فيبقون وليس لهم رصيد.

فإن قال قائل : هذه صفةٌ سلبية كما يقولون، فهل توجد الصفات السلبية في صفات الله؟

فالجواب : نعم، ولكن المراد بالصفات السلبية: ثبوت كمال ضدِّها، فهو لا يظلم لا لعجزه عن الظلم، ولكن لكمال عدله. [43]

الجمع بين إثبات الملك لله وحده كما في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأرض} حيث حصر الملك له وحده ، وبين إثبات الملك لغيره كما في قوله تعالى: {إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} وقوله: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ} .

ووجه ذلك: أن الملك المضاف إلى المخلوق ملك مقيد «ليس ملكاً مطلقاً».

ودليل هذا: أن هذا المالك المخلوق لو أراد أن يتصرف بماله على خلاف ما جاءت به الشريعة كان ممنوعاً من هذا ولا يملكه، والله جل وعلا يملك ملكاً عاماً شاملاً يستغني به عن غيره. [53]

الجمع بين كون الله ينزل إلى السماء الدنيا ، وبين كونه سبحانه على العرش .

فنقول : الله على كل شيء قدير، وليس لك أن تعارض ما أخبر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن ربِّه في أحاديث متواترة بمجرد وَهْمٍ . [63]

انظر ٥٠١/٢

انظر ٥٣٤/٢

انظر ٥٣٦/٢

الجمع بين ثناء الله تعالى لأصحاب العقول كما في قوله تعالى : {لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ} وبين كون هذه العقول هبة من الله عزّ وجل فكيف يذم الإنسان على فقدها أو يمدح على وجودها؟!

فالجواب : أن العقل ـ أعني عقل الرشد ـ نوعان: عقل غريزي وعقل اكتسابي؛ فالعقل الغريزي لا يحتاج إلى تأمل وتفكر، وأما العقل المكتسب فإنه يحتاج إلى تأمل ونظر وتفكر، لأنه كلما ازداد تفكره ازداد إيمانه ويقينه ورشده. [73]

الجمع بين قوله تعالى (وتوفنا مع الأبرار) وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه) .

قولهم (وتوفنا مع الأبرار) ليس فيها أنهم يتمنون تقديم الوفاة، وهذا نظير قول يوسف عليه الصلاة والسلام: {أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}. ليس المعنى أنه يسأل الله أن يتوفاه الآن، بل أن يتوفاه على الإسلام متى جاء أجله، وكذلك قول مريم: {قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} ليس معناه أنها تمنت الموت بل تمنت أن هذا لم يقع، يعني معناه نقول: «يا ليتني مت وأنا ما رأيته». [83]

الجمع بين كون النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم عليه السلام ، وبين دعاءنا له بالصلاة عليه كما صلى الله على إبراهيم ومن المعلوم أن

انظر ٢/٥٤٥
انظر ٢/٥٥٦

المشبه دون مرتبة المشبه به .

قولنا «كما صليت على إبراهيم» المراد بذلك التوسل إلى الله، يعني: مثل ما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فصلِّ على محمد، فإذا قلنا بهذا صارت الكاف للتعليل.

وبهذا التقرير يرتفع الإشكال الذي أورده بعض العلماء وقالوا: من المعلوم أن محمداً صلّى الله عليه وسلّم أفضل من إبراهيم، والقاعدة: «أن المشبه دون مرتبة المشبه به» وهنا قال: «صلِّ على محمد كما صليت على إبراهيم»، وإذا قلنا: بأن الكاف ليست للتشبيه ولكنها للتعليل، وأن هذا من باب التوسل؛ يعني: أننا لا نسألك أمراً غريباً، بل نسألك أمراً فعلته من قبل، فإن الإشكال هنا يرتفع ولا يبقى في هذا إشكال. [93]

الجمع بين كون قوم نوح لم يكذبوا إلا نوحا ، وبين قوله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) .

فالجواب عن ذلك أن نقول: إن هذه الآية قد دلت على أن المرسل إليهم واحد، ولكن لما كان تكذيب الرسول الواحد تكذيب لجميع الرسل، قال: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ *} لأن المقصود التكذيب بالجنس لا بالواحد، فكأنهم كذبوا بجنس الرسالة وقالوا: لا يمكن أن يبعث الله الرسل كما قال تعالى في بيان تكذيب الأمم أنهم يقولون لرسلهم: {مَا أَنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا} . [04]

انظر ٥٦٠/٢

انظر ٥٦٧/٢